# قضية المرتد سلمان رشدي

٤/ ٣/ ١٩٨٩م

## ● الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

كان في خاطري أن أحدثكم اليوم عن أحد موضوعين، الموضوع الأول: موضوع المسجد الأقصى، بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج، بمناسبة هذه الذكرى كان يهمني أن أتحدث عن المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، وعن أرض النبوات التي بارك الله فيها للعالمين، وعن أطفال الحجارة، وعن الانتفاضة الإسلامية، وعن الحركة الإسلامية التي أزعج انتصارها في الأرض المحتلة (شامير)[1] وأتباعه.

كنت أريد أن أتحدث عن قضية العرب والمسلمين الأولى بهذه المناسبة، مناسبة الإسراء والمعراج.

كان هذا موضوعاً، وكان هناك موضوع آخر: هو موضوع النصر، أعظم نصر حققه المسلمون في هذا العصر، وهو انتصار الإخوة المجاهدين الأفغان على أعتى قوة ملحدة في الأرض، قوة الإلحاد الأولى في العالم بل في التاريخ كله، واضطرار هذه القوة إلى أن تسحب جيوشها وجنودها، وتولي الأدبار عن أرض الجهاد، وينسحب آخر جندي من جنود الروس من أرض الأفغان الصامدة، المجاهدة، كنت أريد أن أتحدث عن هذا أيضاً في هذه المناسبة.

---

(١) رئيس وزراء إسرائيل السابق.

ولكن أعداء الإسلام لا يريدون لنا أن نفرح بشيء، لم نتذوق حلاوة النصر منذ زمن بعيد، فنحن نعيش في زمن المآسي والنكسات، فإذا حدث لنا فرح حولوه إلى أحزان، وإذا احتفلنا بعرس أطلقوا فيه رصاصة أردت قتيلاً، فتحول عرسنا إلى مأتم، لهذا شغلونا هذه الأيام بقضية فرضت نفسها على الساحة، كان لا بد من أن أحدثكم عنها هذا اليوم.

تلك قضية المرتد المتزندق المدعو: (سلمان رشدي)، الذي نشأ في أرض إسلامية، ومن أسرة مسلمة، ثم ذهب إلى الغرب، ليصنع هناك، وليستدير إلى أمته فيطعنها في صدرها، وليتوجه بسهامه المسمومة، إلى قدس الأقداس، إلى أطهر خلق الله، إلى محمد ﷺ، وإلى بيته الطاهر، فيتهم رسول الله ﷺ ويتهم نساءه، ويكيل الشتائم المقطعة، بأقذر الألفاظ، وأقبح العبارات، في قصة سماها (الآيات الشيطانية)، ذلكم هو المسمى (سلمان رشدي)، إنسان هندي الأصل، يدل عليه اسمه، اسم مسلم، ليس فيه من السلامة ولا من الرشد شيء.

كنا في الأسبوع الماضي في مجمع الفقه الإسلامي، فشغلنا يومين كاملين بقضيتين: قضية جاءت من بريطانيا، وهي قضية (سلمان رشدي)، وقضية جاءت من أمريكا وهي قضية آخر يدعى (رشاد خليفة)، وكلاهما للأسف في اسمه (الرشد) أو (الرشاد)، وليس لأحدهما من الرشد ولا من الرشاد شيء، واحد طبخ في المطبخ البريطاني، والآخر طبخ في المطبخ الأمريكي.

(رشاد خليفة) هذا كذب بالصلاة، وأنكر السنة إنكاراً مطلقاً، وادعى أن في القرآن آيات ليست من القرآن، ثم ختم هذا كله بادعاء أنه رسول الله، وجاءت رسائله يبعث بها هنا وهناك: أن رشاد خليفة رسول الله[1].

شغلنا يومين بهذين الأمرين، بدل أن نشغل بقضايا المسلمين، وما تحتاج

---

(١) ونحمد الله أن باطله لم يمكث في الأرض طويلاً، إذ أهلكه الله بعد مدة وجيزة، وخرست دعوته في مهدها.

إليه من فقه وفتوى، هكذا أراد أعداء الإسلام.

كان أحد عتاة المبشرين[1] في أوائل هذا القرن يقول: لن ننجح في تبشيرنا وتنصيرنا، إلا إذا جندنا من أبناء المسلمين أنفسهم من يقوم بمهمتنا، إن الشجرة لا يقطعها إلا أحد أبنائها.

وهكذا استطاعوا أن يجندوا بعض هؤلاء الناس، الذين لا دين لهم، ولا عقل لهم، ولا ضمير لهم، باعوا دينهم، وباعوا أمتهم، وباعوا تراثهم، وباعوا كل شيء، من أجل مال... من أجل شهوة... من أجل شهرة.. ومن أجل أن يتبعوا أهواء الشياطين، الذين يوحون إليهم بتلك الوساوس والهواجس.

سلمان رشدي ألف قصة، هذه القصة تقوم على أن هناك في (مكة)، ويسمى مكة (مدينة الجاهلية)، أما (المدينة المنورة) فأبقى على اسمها القديم: (يثرب)، وأن في (مدينة الجاهلية) بيتاً للدعارة والبغاء، وأن هذا البيت يضم اثنتي عشرة امرأة، سمي هؤلاء النساء الداعرات بأسماء أمهات المؤمنين، زوجات رسول الله ﷺ، وسماهن: بغايا الأستار، كأنه يشير إلى أستار الكعبة، أو بغايا الحجاب، وكيف يكون الحجاب سبباً للبغاء، أو قريناً له؟!

هكذا تهجم هذا الرجل، وخلط الخيال بالتاريخ، والتاريخ بالواقع، وخلط الأمور بعضها ببعض، بحيث تخرج منه بأن هذا شيء لا يمكن أن يطاق، ولا أن يقبل بحال من الأحوال.

---

(١) هو القسيس (زويمر) رئيس إرسالية التبشير في البحرين، ذكر ذلك في كتابه (العالم الإسلامي اليوم) الذي نشره بمؤازرة زملاء له، جمعوا فيه تقارير وملاحظات كتبها المبشرون عن حال المسلمين القاطنين في مناطقهم التبشيرية، وفي مقدمة الكتاب يقول (زويمر): «تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم؛ لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها» نقلاً عن كتاب: (الغارة على العالم الإسلامي) تأليف ا. ل. شاتليه، تلخيص وترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، ص٥٠.

هذا الرجل أساء إلى أمة الإسلام، أساء إلى رسول الله ﷺ ، أساء إلى أمهات المؤمنين، أطهر خلق الله، اللائي خاطبهن الله في القرآن بقوله: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٢ ـ ٣٣] .

أول من خوطب بهذا نساء النبي ﷺ، فالله يريد أن يذهب عنهن الرجس، وأن يطهرهن تطهيراً،

وحين افترى مفتر كذاب على إحداهن: عائشة بنت أبي بكر، الصديقة بنت الصديق، في حديث الإفك المعروف، نزلت آيات السماء، نزلت عشرات الآيات في سورة (النور) تبرىء هذه الطاهرة المطهرة المبرأة رضي الله عنها، وتلعن أولئك الذين أشاعوا هذا الإفك ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٣ ـ ٢٤] .

أزواج رسول الله ﷺ، وأمهات المؤمنين، يوصفن عند هذا الفاجر الفاسق العربيد بأنهن مومسات، هكذا صنع.

ولهذا غضب المسلمون في بريطانيا، الذين قرأوا هذا الكتاب أو هذه الرواية الشيطانية باللغة الإنكليزية، احتجوا في أول الأمر، وطالبوا أن يصادر هذا الكتاب ويمنع نشره، حتى لا يسيء إلى الإسلام، ولا يجرح مشاعر المسلمين، ولكن صيحاتهم ذهبت سدى، ولم تؤت أكلها، ثم ساروا في مظاهرات وجاءوا فيها بنسخة من الكتاب، وأحرقوها في بعض الميادين، حتى يسمع لهم السامعون، وتعرف قضيتهم الجهات المختصة، ولكن أحداً لم يبال بهم، بزعم أن هناك حرية... حرية الرأي وحرية الفكر، ولكن أي رأي وأي فكر في هذا الكلام الساقط البذيء؟!

ليس هناك علم ولا رأي ولا فكر، يمكن أن نقارع فيه الحجة بالحجة، والدليل بالدليل، والرأي بالرأي، من شتمك، كيف تقول: إن الشتيمة هذه رأي، وأن صاحب هذا اللسان القذر، حر في أن يقول ما شاء؟!

لو أن إنساناً يبحث، وانتهى إلى رأي، يمكن أن نقول: إن هذا رأي، يرد عليه برأي مثله، ولكن إذا جاء إنسان وقال لك: أنت ابن كذا، وكذا، شتم أباك أو سب أمك، ماذا تقول في هذا؟ أهذا رأي يحترم، ويدافع عنه؟!

لو أن إنساناً ـ أي إنسان ـ اعتدى على أبيه أو أمه بكلمة بذيئة، فلا يسعه إلا أن يغضب، ولا يسعه إلا أن يثور، فكيف إذا سب أشرف الخلق وسيد الوجود: محمد ﷺ؟ كيف إذا سبت نساؤه أمهات المؤمنين؟

من سب أباك أو أمك لا تصبر عليه، فكيف من سب نبيك ورسولك وهاديك إلى الله؟ وكيف من سب أمهات المؤمنين جميعاً؟ والله تعالى يقول: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] ، كيف يقال إن هذا رأي؟! كيف يقال إن هذا فكر، وإن هذا من حرية الفكر؟!

إن رئيسة وزراء بريطانيا صادرت كتاباً، كان فيه بعض الفضائح السياسية، المعروف باسم: (صائد الجواسيس)، من أجل المصلحة، فلماذا لا يصادر كتاب من أجل مصلحة المسلمين؟ أم أن المسلمين في العالم لا قيمة لهم؟ ألف مليون مسلم تتحدى مشاعرهم في العالم كله، ولا يقام لهم وزن.

من أجل ذلك ثارت الثوائر، وقامت المظاهرات في بلاد العالم الإسلامي، وخصوصاً الذين يقرأون الإنكليزية.

ثارت المظاهرات في بريطانيا، وفي الهند، وفي باكستان، وفي غيرها من البلاد، وقتل من قتل، وأطلق الرصاص على بعض الناس فقتلوا، إنما ثاروا لكرامتهم، لكرامة دينهم، لكرامة نبيهم، لكرامة أمهات المؤمنين، حفاظاً على المقدسات.

إن هذا الرجل اتهم أبا الأنبياء جميعاً... الخليل إبراهيم، اتهمه بأنه وغد، وابن زانية، هكذا لم يدع شيئاً إلا وجرحه، أثخنه بالجراح، فمن حق الناس أن يثوروا.

لئن كنت محتاجاً إلى الحلم إنني ... إلى الجهل في بعض الأحايين أحوج
ولي فرس للحلم بالحلم ملجم ... ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن رام تقويمي فإني مقوم ... ومن رام تعويجي فإني معوج
وما كنت أرضى الجهل خدناً وصاحباً ... ولكنني أرضى به حين أحرج

لقد استغضب المسلمون، وكان من حقهم، بل من واجبهم، أن يغضبوا، ومن استغضب فلم يغضب فهو حمار، كما أن من استرضى فلم يرض فهو جبار.

استغضب المسلمون، حينما مست عقائدهم في شخص رسولهم محمد ﷺ، ونسائه أمهات المؤمنين، وعدد من الصحابة، وبعض الأنبياء العظام.

أشياء كثيرة تحدث عنها هذا الإنسان، كان من حق المسلمين أن يثوروا، وأن يغضبوا، ما دامت السلطات المختصة في تلك البلاد لم تأبه للأمر، ولم تشغل نفسها به.

وهناك من قال: إننا يجب أن نستتيب هذا الإنسان، وصدرت بعض الفتاوى في ذلك، وأصدر هذا الشخص اعتذاراً، هذا الاعتذار ليس فيه أي نوع من التوبة، ولا أي نوع من التكذيب لنفسه، ولا أي نوع من التراجع عما قال، كل ما قاله: إنه يأسف أنه آلم المسلمين وأزعجهم، أما كلامه نفسه فلم يتراجع عنه، ولم يقل إنه أخطأ، ولم يكذب نفسه في شيء، لذلك رفض اعتذاره.

على أن جمهور المسلمين يرون أن من شتم رسول الله ﷺ، لا تقبل له توبة، وليس له إلا السيف، حتى لا يجرؤ الناس على هذا الحمى المحرم.

هذا ما قرره العلماء من قديم، وألف فيه شيخ الإسلام ابن تيمية، كتابه

هذا ما قرره العلماء من قديم، وألف فيه شيخ الإسلام ابن تيمية، كتابه الشهير: (الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ)، وقال: إن من شتم رسول الله ﷺ من مسلم أو ذمي، حتى الذمي ـ الذمي غير المسلم الذي يعيش بين ظهراني المسلمين، وفي ضمانهم وذمتهم، وله مالهم وعليه ما عليهم، في حدود أصول الإسلام وقواعده ـ هذا إذا شتم رسول الله ﷺ ، فقد نقض عهد الذمة وحل دمه.

أراد المسلمون ألا يفتحوا باب فتنة فيجرؤ الناس على رسول الله ﷺ . من حقهم أن يردوا على الإسلام، وعلى عقائد الإسلام، ويقولوا: إن عقائدنا أفضل من عقائدكم، هذا الرأي يسمح به ونرد عليه، أما الشتم، أما الإهانة، أما التجريح، أما السب واللعن، فهذا شيء آخر لا يقبل من مسلم ولا من غير مسلم.

لقد أهان هذا الإنسان الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، ولكن العجب العجاب: أن نجد هذا الغرب يقف عن بكرة أبيه، ضد المشاعر الإسلامية.

وحينما احتجت (إيران) على هذا الأمر، سحبوا سفراءهم من هناك، واجتمع المجلس الأوروبي، ويكاد يجتمع مجلس الأمن، أو الأمم المتحدة، من أجل هذا الأمر!

أليس من حق المسلمين أن يغضبوا لدينهم، ولنبيهم، ولمقدساتهم، ولأنبياء الله جميعاً؟

إن المسلمين في بعض البلاد الأوروبية سيروا مظاهرات من أجل (فيلم) تناول المسيح عليه السلام بسوء وهؤلاء الناس للأسف أصدروا من الأفلام ما يجرح المسيح عليه السلام، ويتهمه بالشذوذ الجنسي، ويصوره في أقبح صورة، ومن الأفلام ما صور (مريم) العذراء عليها السلام أسوأ تصوير.

قام المسلمون وتظاهروا ضد ذلك، حتى أن (أسقف) بعض البلاد شكر

قالوا له: إن مريم عندنا صديقة: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [آل عمران: ٤٢]. ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم: ١٢].

قالوا له: إن في القرآن سورة اسمها: سورة (مريم)، نزلت من أجل هذه الصديقة.. العظيمة.. المطهرة... البتول... المبرأة.

المسلمون يغضبون إذا نال نائل من أي نبي من الأنبياء، أو أي رسول من الرسل، فنحن لا يصح لنا دين، ولا يكمل لنا إيمان، إلا إذا آمنا بكل كتاب أنزل، وبكل نبي أرسل ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ...﴾ [البقرة: ٢٨٥].

هذا هو إيماننا نحن المسلمين، فلماذا نكافأ على هذا بأن يشتم نبينا، ويشتم ديننا، وتسب أمهات المؤمنين؟

أيسعنا أن نسكت على هذا الضيم؟ أن نغض العيون على القذا؟ أن نسحب الذيول على الأذى؟ لا والله، ما كان لنا أن نفعل ذلك.

كنا نود لو أن هذا الكتاب مات في مهده ولم يذكر، ولكن للأسف قالوا: إنهم هناك يكافئون هذا الكاتب، ويعطونه الجوائز على مثل هذه الأشياء[1]، فثار المسلمون الذين يعرفون هذا الأمر عليه، أما وقد سار الأمر وعرف وانتشر، فلا بد لنا من وقفة.

---

(١) والتي كان آخرها جائزة الأدب الأوروبي، التي منحتها حكومة النمسا لهذا الكاتب المارق - أي بعد مرور خمس سنوات على إصدار رواياته الشيطانية - ضاربة عرض الحائط بمشاعر أكثر من مليار مسلم، ومتجاوزة نصوص الدستور النمساوي نفسه، والذي يجرم صراحة كل من يتطاول على المعتقدات الدينية المعترف بها رسمياً هناك ومن بينها الإسلام (نقلاً عن مجلة المجتمع الكويتية في عددها ١٠٩٦ الصادر في ٨ ذي القعدة ١٤١٤هـ).

نعجب من تلك الحرب الصليبية التي ما زالت قائمة حتى اليوم، تظهر ما بين الحين والحين، حينما دخل (اللنبي) القائد البريطاني، القدس الشريف سنة ١٩١٧م قال كلمته الشهيرة: اليوم انتهت الحروب الصليبية، أي: بدخول بيت المقدس، الذي فشل فيه الصليبيون قديماً.

ولكن الحروب الصليبية لم تنته، ما انتهت الحروب الصليبية، الحرب مستمرة، ولكنها بأدوات غير الأدوات، وبأساليب غير الأساليب، وفي ساحات شتى، ومجالات كثيرة؛ الحرب الصليبية ما زالت قائمة ضدنا نحن المسلمين.

نحن نحاول أن نسالم، أن نرفع شعار السلام، أن نمد أيدينا، ولكن القوم لا يقابلوننا بمثل ما نقابلهم به، لا يردون التحية بمثلها، فضلاً أن يردوها بأحسن منها، وهكذا يساء إلينا يوماً بعد يوم.

وأعجب من هذا أن نجد في بلد المسلمين أنفسهم، ومن أقلام عربية مسلمة، تدعي: أنها نصيرة الحرية، تدافع عن هذا المرتد الملحد المتزندق، وتدافع عنه باسم حرية الرأي وباسم حرية الفكر! أي رأي، وأي فكر يا قوم؟! أي رأي وأي فكر في السباب والقذارة والإقذاع؟! ليس هناك رأي يمكن أن يناقش، أو يرد عليه.

إن هذه القضية كان من حسناتها: أن نبهت العالم الإسلامي، ورب ضارة نافعة، نبهته إلى ما يحاك له في الخفاء، وما يبيت له بليل، وما يدبر له من وراء ستار، لكي يظل دائماً في بلبلة وحيرة. علمتنا هذه القضية أن من أبناء المسلمين، من يستخدم ضد المسلمين أنفسهم، ومن حسنات هذه القضية أن وقف العالم الإسلامي جميعه ضد هذا الأمر، وإن كان السياسيون للأسف، لم يعيروا هذا الأمر التفاتاً بما يستحق، وما ينبغي له.

كان لا بد من أن تسمع أصوات تستنكر هذا الأمر، وتعلّم هؤلاء القوم أن المسألة لا ينبغي أن تمر بسهولة، وأن العالم الإسلامي لا يقبل أن يهان في شخص إهانة رسول الله ﷺ وبيته الشريف الطاهر.

يا أيها الإخوة: إن الإسلام والحمد لله، لا يمكن أن يتزعزع بهذه الأشياء، الإسلام طود شامخ، وجبل راسخ، بل هو أرسى من الجبال، لا تزعزعه هذه الرياح مهما عصفت.

الإسلام أرسخ قدماً، وأثبت جذوراً، وأعمق أصولاً، من أن تؤثر فيه هذه الأباطيل، إن هذا الإسلام يمتد هنا وهناك، ويكسب كل يوم أرضاً، ويدخل فيه الكثيرون، ونحن موقنون أن الغد لهذا الدين، وأن المستقبل للإسلام، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٢ ـ ٣٣].

نحن ننتظر يوماً يظهر فيه الإسلام على الأديان كلها، ويعم الأرض نوره، وقد سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولاً يا رسول الله رومية أم قسطنطينية؟ كأن الصحابة عندهم علم سابق أن المدينتين كلتيهما مفتوحتان بالإسلام، رومية: عاصمة إيطاليا، التي يعبر عنها الآن بـ (روما)، والقسطنطينية: التي يعبر عنها الآن باسم: (استانبول) التي كانت عاصمة الخلافة العثمانية، عدة قرون ـ فقال رسول الله ﷺ: «**مدينة هرقل تفتح أولاً**»[1]. مدينة هرقل هي القسطنطينية، وقد فتحت[2].

---

(١) روى الإمام أحمد في مسند عبد الله بن عمرو عن أبي قبيل قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، وسئل: أيّ المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتاباً، قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله نكتب، إذ سئل رسول الله: أي المدينيتن تفتح أولاً: قسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: «مدينة هرقل تفتح أولاً» يعني: قسطنطينية، الحديث (٦٦٤٥)، وقال الشيخ شاكر: إسناده صحيح، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦: ٢١٩): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل وهو ثقة، ورواه الحاكم (٤/ ٤٢٢) وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

فتحها ذلك الشاب التركي العثماني، ابن الثالثة والعشرين: (محمد بن مراد) الذي لقب في التاريخ باسم: (محمد الفاتح)، الذي قرأ في الحديث: «لتفتحن القسطنطينية، ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش»[1]، فتاقت نفسه، وطمحت إلى أن يكون هو هذا الأمير، وأن يكون جيشه هو هذا الجيش.

تعلقت بذلك نفسه، وهو في ريعان شبابه، فما زال يعد لذلك ويخطط، حتى أذن الله أن يكون له هذا الشرف، الذي سعى إليه الصحابة ولم يدركوه، وادخره القدر لهذا الفتى المسلم الطموح، ابن الثالثة والعشرين.

فتحت (القسطنطينية)، وبقي أن تفتح (رومية) إن شاء الله، معنى هذا: أنه لا بد من أن يدخل الإسلام إلى أوروبا من جديد، وقد طرد منها مرتين: طرد منها بعد الأندلس، بعد أن بقي فيها ثمانية قرون، وأقام تلك الحضارة العظيمة، طرد منها طرداً سجله التاريخ: القتل والتعذيب، والإجبار على التنصير، ومحى الإسلام من تلك الديار[2].

وطرد مرة أخرى بعد أن كاد العثمانيون يدخلون (فيينا)[3]، وطرقوا أبوابها عدة مرات، ثم عادوا إلى آسيا، وإلى ذلك الشريط الصغير من أوروبا،

---

(١) كان ذلك يوم ٢٩ (أيار) (مايو) من عام ١٤٥٣م، بعد معارك دامت واحداً وخمسين يوماً.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٣٣٥)، والحاكم في مستدركه عن بشر الغنوي، وصححه ووافقه الذهبي (٤/ ٤٢٢) ورمز له السيوطي بالصحة في الجامع الصغير (٢/ ١٢٣).

(٣) من أراد أن يتأمل تلك الحقبة السوداء وما جرى فيها للمسلمين من مآسي يندى لها الجبين، ويتقطع لها نياط الفؤاد، فليرجع إلى كتاب: (محاكم التفتيش الغاشمة وأساليبها للدكتور عبد الرحمن على الحجي، أو (المسلمون المنصرون) للدكتور عبد الله محمد جمال الدين، أو (تاريخ مسلمي الأندلس) تأليف الأسباني: أنطونيو دومنيقير هورتز، والفرنسي: برنارد بنثنت.

(٤) عاصمة (النمسا) حالياً.

عدة مرات، ثم عادوا إلى آسيا، وإلى ذلك الشريط الصغير من أوروبا، واقتسمت تركة (الرجل المريض) كما يسميه المؤرخون في ذلك الوقت.

لا بد من عودة للإسلام إلى أوروبا إن شاء الله، لا بد من أن ينتصر الإسلام، إذا قمنا له بحقه، إذا كنا نحن صورة طيبة للإسلام، واستطعنا أن نقدمه لغيرنا، حتى يرى في الإسلام ما يهديه من ضلال، وما يؤمنه من خوف، وما يسعده من شقاء.

إننا أصحاب الدين الأقوى، إننا أصحاب الرسالة العظمى، التي فيها نجاة الإنسانية من كل شر، ومن كل خطر، إنها رسالة محمد ﷺ، أما هذه الأكاذيب، وهذه الأباطيل، وهذه الزوابع التي تثار ما بين الحين والحين، فلن تزيد الإسلام إلا قوة، ولن تزيد العاملين للإسلام إلا ثباتاً عليه، وإصراراً على الدعوة إليه، وإنا إن شاء الله لمنتصرون، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

نسأل الله أن ينجز لنا وعده، وأن يهيء لنا من أمرنا رشداً، وأن ينصر الإسلام ويعز المسلمين، اللهم آمين.

أقول قولي هذا واستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه من كل ذنب، وادعوه يستجب لكم.

## ● الخطبة الثانية:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

ظهرت ظاهرة ما كان يعرفها المجتمع الإسلامي، تحدثنا عنها خطبة كاملة في العام الماضي، هذه الظاهرة هي: تفكك الأسرة المسلمة، تخلى الإنسان عن أبويه في حالة الشيخوخة، والله تعالى وصى على الأبوين في كل الأحوال،

إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤] .

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ﴾ [الإسراء: ٢٣] : أصبحا أمانة عندك، أصبحا في حضانتك كما كنت من قبل في حضانتهما؟ ألا ترد الجميل؟ ألا تعرف المعروف؟ ألا تجازي الإحسان بالإحسان؟ وكيف تجازي الإحسان بالإحسان؟ وهل تستطيع.

إن الرجل الذي جاء إلى عمر وقال: يا أمير المؤمنين: لقد بلغ من مرض أمي وعجزها، أنني أصنع لها ما كانت تصنع لي في صغري، وفي طفولتي، أنا الذي أطعمها، وأنا الذي أسقيها، ولا تقضي حاجتها إلا وظهري لها مطية ـ أي إذا أرادت أن تقضي حاجتها البشرية من البول والغائط، يحملها ويذهب بها حتى تقضي حاجتها ـ أأوفيتها حقها؟ فقال عمر: لا، إنها كانت تفعل ذلك لك، وتتمنى لك عمراً طويلاً، أما أنت فتفعل لها ذلك، وتنتظر موتها غداً أو بعد غد!

روى البزار: أن رجلاً كان يطوف بالكعبة وهو يحمل أمه على كتفه، فرآه النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: أأوفيت لها حقها؟ فقال ﷺ: «**لا، ولا بزفرة واحدة**»[1] وزفرة من زفرات الطلق وألم الوضع.

فما هذه الظاهرة: أن يذهب الناس بآبائهم وأمهاتهم إلى مستشفى العجزة، ويلقون بهم هناك، كأنما وضعوا في سلة المهملات، لا يسأل عنهم أحد، ولا يزورهم أحد.

---

(١) ذكره الحافظ بن كثير في تفسير سورة الإسراء (٣/ ٣٥) ط. الحلبي من رواية الحافظ البزار في مسنده عن بريدة، وفي سنده الحسن بن أبي جعفر ضعيف، وأورده الهيثمي في المجمع (٨/ ١٣٧).

أين عاطفة البنوة؟ أين روح الدين... روح البر والوفاء؟ أين قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤] ؟ أين: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣] ؟.

أين البر الذي جعله الإسلام من أصول الفضائل وجعله في المرتبة بعد توحيد الله تبارك وتعالى؟

كنا نسمع عن مثل ذلك في أوروبا وأمريكا، ونقول هذا مجتمع مادي، أناني، لا يعرف المشاعر، ولا يعرف العواطف، ولا يعرف الفضائل، فهل انتقلت إلينا العدوى؟ هل انتقلت سموم المجتمع المادي إلى مجتمعنا، حتى يلقى الآباء والأمهات في دور العجزة، ثم يتركون ولا يسأل عنهم أحد؟.

لا يا أيها الإخوة المسلمون، لا ينبغي أن نتخلى عن مكارمنا وفضائلنا، فيتخلى الله عنا، وبر الوالدين سلف، اعمل ما شئت كما تدين تدان أنت اليوم شاب وغداً شيخ، ما صنعته بآبائك، سيصنعه بك أبناؤك، فاعمل لغدك، واعمل قبل كل شيء لإرضاء الله تبارك وتعالى، وأوف الحق الذي عليك، يوف أبناؤك بالحق الذي لك.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يهيىء لنا من أمرنا رشداً، وأن يجعلنا من عباده الأبرار الأوفياء، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومناً واهدنا لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، وأصرف عنا سيئها، لا يصرف عنا سيئتها إلا أنت، اللهم أعز الإسلام وأيد المسلمين، اللهم انصر إخواننا في فلسطين، وانصر إخواننا في أفغانستان، واجمع على الحق كلمتهم، ووحد صفوفهم، وقرب النصر العزيز منهم، اللهم أرنا يوماً قريباً ينتصر فيه الإسلام، وتعلو فيه راية القرآن، اللهم اهدنا صراطاً مستقيماً، وافتح لنا فتحاً مبيناً، وانصرنا نصراً عزيزاً، وأنزل في قلوبنا سكينتك، وانشر علينا فضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

عباد الله يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦] اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿... وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

*